دلالة الجملة في شعر أحمد بخيت
قصيدة (الحسين اختيارا)

م. سلام حسون ناصر
كلية الإمام الكاظم (ع) /للعلوم الاسلامية الجامعة / قسم علوم القران والحديث
Email:Salamaljabriy@gmail.com

الكلمات المفتاحية (الجملة، مفهوم الدلالة ،دلالة الثبات ، دلالة التجديد، الخطاب الشعري)

المخلص :

مثل البحث في دلالة الجملة في الشعر العربي بداية للوقوف على مفاهيم معرفية تحدث عنها قدماء النحاة من الناحية الدلالية مما اكسبها موقعا مهما في تحليل الخطاب الادبي واللغوي ؛بعدها العنصر الاساس الذي تكاملت فيه منطلقات النصوص المختلفة الاخرى والتي مثلت محور الكلام، فالجملة محور الكلام وبها تعرف غاية المتكلم واذا ما عرفنا دلالة الجملة وقفنا على اساليب التعبير واسبابها والتي تختبىء خلف التركيب الكلامي، ولذا كان اختياري لقصيدة الحسين في ديوان احمد بخيت لما مثلث الجملة من مساحة دلالية كبيرة اكسبت النص الادبي حلاوة واضافت عليه طلاوة.

Abstract

Semantic Analysis of Sentences in Ahmed Bakhit's Poetry: Al-Hussein as a Selected Poem

Lecturer: Salam Hasoon Naser

Department of English/Al-Imam Al-Kadhum University College/Thi-Qar

The present study represents an introduction to highlight knowledgeable conceptions which the ancient scholars tackled semantically. This gives it a great value in both the linguistic and literary discourse analysis, considering it as the essential factor which add value to other genres which, in turn, represent the core of speech. Henceforth, sentence is the core of speech whereby the speaker's aim is found out. If the semantics of the sentence is not known, the reader will be searching for ways of interpretations that are hidden beyond oral construction. So, the researcher chooses this poem from Ahmed Bakhit's collection as the sentence represents a fundamental semantic part and this makes the literary text so interesting and likeable.

مدخل: الجملة والدلالة والخطاب الشعري

إن البحث عن دلالة الجملة في الشعر يوجب علينا بداية الوقوف على معاني المفاهيم التي يتحدث في إطارها البحث، ألا وهي (الجملة) والدخول في مستوياتها وتقسيماتها التي أشار إليها قدماء النحو ومحدثوه كذلك، وبعدها نلج إلى مفهوم (الدلالة) ومعرفة ما يوحيه هذا المصطلح مع الأخذ بأكبر قدر من وجهات النظر زيادة في التأكيد ومحاولة للفهم بشكل دقيق، مع ربط الخطاب الشعري بكل ما سبق، ومحاولة إيجاد صيغة تحليلية قائمة على إنتاج دلالة شعرية عن طريق الاستعمالات اللغوية للجملة.

تكتسب الجملة في اللغة العربية موقعاً مهماً في تحليل مستويات الخطاب اللغوي والأدبي؛ لأنها العنصر الذي تتكامل فيه بقية عناصر النصوص المختلفة الأخرى (الأصوات والألفاظ المفردة)، فالجملة محور الكلام وبها تتوضح غاية المتكلم، وإذا ما علمنا دلالة الجملة، أي معناها، استطعنا أن نقف على أسباب القول ودوافع التعبير التي تختبئ خلف البنية التركيبية لأي جملة.

الجملة معناها وتقسيماتها:

لم يظهر مصطلح الجملة مع الدراسات التي عاصرت كتاب سيبويه، فقد اقترن تعريفها بمصطلحات أخرى كالكلام وغيره، فالكلام والجملة مصطلحان لشيء واحد، أي إن مصطلح الكلام والجملة مترادفان يوضع أحدهما مكان الآخر، وقد ذكرهما سيبويه وجعل لهما باباً فقال: (هذا باب المسند والمسند إليه)، وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بداً[١]، وكان لابن جني رأي في بحث مسألة الترادف ويتضح ذلك في قوله: ((أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصيه، ومه، فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام[٢]، أما (الزمخشري)، فقد جعل الجملة والكلام شيئاً واحداً بقوله: ((الكلام هو المركب من كلمتين أُسندت أحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يأتي إلا في اسمين كقولك زيد أخوك، وبشر

صاحبك، أو في فعل واسم نحو: ضُرب زيد، وانطلق بكرٌ ويسمى الجملة))[٣]، ويعد (المبرد) أول نحوي استعمل مصطلح الجملة وذلك في كلامه على الفاعل[٤].

أما المحدثون فإنهم لم يبتعدوا في فهمهم للجملة كثيراً عن القدماء فقد رأى (محمد حماسة عبد اللطيف) أن النحاة القدماء كانوا موفقين في استخدامهم لمصطلح الكلام؛ لانّ الكلام يقصد به النشاط الحي، والتنفيذ الواقعي للنظام اللغوي المخزون في ذهن الجماعة اللغوية فكأنهم أرادوا أن يقولوا: إنّ التقعيد لا يكون إلا للمنطوق الفعلي الذي يؤدي فائدة يحسن السكوت عليها[٥]، والجملة في أقصر صورها هي: أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر[٦].

أقسام الجملة:

عند النحويين الجملة نوعان: اسمية وفعلية، وهذا ثابت حتى عند من رأى أنها أكثر من ذلك كقول الجرجاني: ((فالكلام لا يخلو من جملتين أحدهما: إسمية كقولك: زيدٌ أخوك. وتسمى جملة من المبتدأ والخبر، والثانية: فعلية كقولك: خرج زيد، وتسمى فعلية من فعل وفاعل..))[٧]، ولم يكتف النحاة بالتقسيم الثنائي للجملة وإنما امتد النطاق إلى أوسع من ذلك، ومنهم (ابن هشام)، فقد قسم الجملة إلى الكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة، نحو زيدٌ قام أبوه، وزيدٌ أبوه قائم، والصغرى هي المثبتة على المبتدأ والخبر، فالجملة الكبرى عند (ابن هشام) هي المكونة من جملتين أو أكثر، أحداهما: مبتدأ أو فاعل، أو خبر، أو مفعول ثانٍ لفعل ناسخ، نحو: سواء علينا أي كتاب قرأت. أما الصغرى فهي جزءُ متممُ للجملة الكبرى أي مبتدأ فيها، أو فاعلاً أو خبراً ، أو مفعولاً ثانياً ، وقسم الجملة الكبرى أيضا إلى قسمين: جملة ذات وجه واحد ، وجملة ذات وجهين[٨].

قسم صاحب كتاب المغني الجمل إلى اسمية وفعلية وظرفية، والظرفية عنده: هي المصدرة بظرف أو جار ومجرور نحو(عندك زيد) و(في الدار زيد)، إذا قدرت (زيداً) فاعلاً بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبراً عنه بهما[٩]، ومثل (الزمخشري) لذلك بـــ(في الدار) من قولك: (زيدٌ في الدار) وهو مبني على أن الاستقرار

المقدر فعل لا اسم، وعلى أنه حذف وحده وانتقل الضمير الى الظرف بعده إن عمل فيه، وأضاف (الزمخشري) إليها الجمل الشرطية فتكون الجمل عندهم اسمية، وفعلية ، وظرفية، وشرطية(١٠).

أما عند المحدثين، فقد حدد الدكتور (فاضل السامرائي) أقسام الجملة بحسب الاعتبارات التي ينظر إليها، إما أن تبدأ باسم وفعل فتقسم إلى اسمية وفعلية، أو تبدأ بنفي واثبات فتقسم إلى منفية ومثبتة، أو على أساس الخبر والإنشاء فتكون خبرية وإسنادية، وقد فصل القول في كل نوع منها(١١). أما (تمام حسان) فقد اتفق في تقسيمه للجمل مع القدماء وأضاف إليها الجملة الوصفية، فقسم الجملة إلى قسمين من حيث المبنى تقسم إلى جملة اسمية وتتكون من مبتدأ وخبر، وجملة فعلية تتكون من فعل وفاعل، أو من فعل وناب فاعل، وجملة ثالثة هي الجملة الوصفية وتتكون من ركنين. الأول: اسم فاعل، واسم المفعول، وصيغة المبالغة، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، والثاني: معمول هذه الصفات(١٢)، كذلك الجملة الشرطية التي تتكون من الشرط والجواب وتقسم إلى: امتناعية، وإمكانية، ويقصد بالامتناعية ما يكون مدلول الشرط ممتنع التخفيف، والإمكانية ما كان تحققه ممكناً(١٣).

ومن هنا تشكل الجملة أساسا لا غنى عنه في أي منطوق لغوي، والشعر إحداها، فهنا تكتسب الجملة أهمية مضاعفة، فالجملة وبغض النظر عن كونها محور الخطاب اللغوي، فإنها تتقدم لتكوّن محور الخطاب التخيلي كذلك، فهي العالم الذي يحوي بين كفتيه فكرة الشعر ومحور دلالته، وهنا لا بد من النظر إلى الصعوبة التي يواجهها الشاعر بصياغة جمله؛ لأن ((بنية الجملة متصلبة لأنها من معطيات اللغة، ولا يُدخل عليها المستخدم الفردي سوى تعديلات طفيفة.))(١٤)، وهذه التعديلات كفيلة بخلق حالة من التجانس اللغوي والدلالي للنص؛ لأن أي حالة قطع كلامي من شأنه إحداث خلل واضح في الرسالة الشعرية التي يريد المبدع توصيلها.

مفهوم الدلالة في الخطاب النقدي:

كثيرا ما تردد مصطلح الدلالة في الدراسات النقدية، اللغوية منها أو الأدبية على السواء، فهو يشير إلى ما يحتمله الخطاب من معان، وقد أجمع المحدثون من علماء اللغة العرب

والغربيين على أن الدلالة هي دراسة علم المعنى[١٥]، وإذا ما تتبعنا بدايات هذا المصطلح فإننا سنعثر على إشارات مهمة في كتب اللغة القديمة، فقد عرّف (الراغب الأصفهاني) هذا المصطلح بقوله: ((الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب وسواء ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد))[١٦]، وهو هنا يشير إلى إن أي كلام سواء عرف مقصده أو لم يعرف، وسواء كان ذا رسالة لغوية أو أدبية أو غير ذلك، فإنه لا بد أن يحمل دلالة خاصة به، ومعنى يفهم عليه، وإلا لن يكون كلاماً ناجزاً أو مفهوماً.

أما حديثا فقد عرفت الدلالة على أنها: ((العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى))[١٧]، وهنا لا بد من ملاحظة دخول صفة (العلم) على هذا الفرع من الدراسات اللغوية، وهو ما أشار إليه الدكتور محمد المبارك بقوله: ((والعلم الباحث ما بين الألفاظ والمعاني من صلات هو مبحث الدلالة في علم اللغة))[١٨]، وبعد كل تلك الإشارات المهمة لا بد من القول: أن الدلالة علم يراد منه معرفة المعنى القابع خلف النصوص اللغوية، ونظرا لكثرة ما ورد على هذا المصطلح من كلام لعلماء العربية قديما وحديثا، فإنه يعني وجود علم دلالة عربي، بل يؤكد من ذلك تأصيل المصطلح الدلالي، فاللغة العربية غنية بهذا العلم المتشعب مع علومها الأخرى، وله دور في تطورها بعد أن تطور بها حتى أصبح على ما عليه الآن من مادة غنية ومصطلحات دلالية من صلب اللغة العربية، من جمل وأصوات وألفاظ متعددة المستويات ومختلفة الدلالات أيضا.

قصيدة الحسين بين دلالة الشعر وبناء الجملة في العربية:

لطالما كان الشعر رافداً مهماً من روافد الثقافة العربية، ففيه سطرالشعراء ملاحمهم، وفجروا إمكاناتهم اللغوية والأدبية، وفي هذا الجانب يورد الدكتور صلاح فضل رأياً مهماً، إذ يقول: ((وقد فطن العرب بهذا أن البلاغة والشعر ومهارة اللسان هي جماع قدراتهم الفنية وذوب عطائهم الحضاري بين الشعوب. ومن هنا بلغت أهمية الكلمة الشاعرة لديهم درجة العبادة، ووضعوا في الشعر الغنائي كل إمكاناتهم المبدعة في الرسم والنحت. فاستقطب قدراتهم وألهاهم

عن كل مكرمة أخرى في الفن))[١٩]، وفي هذا كان لكل شاعر منهم خصائصه الذاتية بقوله وخطابه؛ لأنه يمكن لخطاب الشاعر ومعناه أن يفهم من سياق قصائده، لكن شكل القصيدة ومسارها وانطلاقتها ومنتهاها فهو من خواص الشاعر نفسه، لا يمكن أن تحوّل أو تهدم أو تقلد في أغلب الأحيان[٢٠].

وهذا يعني أن فكرة التعبير الشعري، هي من خواص الشاعر نفسه، فهو من يختار قالب قصيدته الخاص، مستفيدا من مخزونه اللغوي، وبيانه الأدبي في هذه الناحية؛ لأن ((التعبير فعل يعبّر عن الفكر بوساطة اللغة، وتتألف اللغة من أشكال (زمن الأفعال، الجمع، المفرد)، ومن بُنى نحوية (الحذف، نظام الكلمات)، ومن كلمات هي أيضا أدوات للتعبير))[٢١]، وهنا تختلف مستويات التعبير من شاعر لأخر حسب توجه خطابه الشعري؛ لأن ((دلالة أي نص شعري ليست في معنى اقتراضي مسبق له، وإنما هي محصلة مجمعة لكل وسائله الإشارية والمجازية وتكنيكه في التعبير والرمز. من هنا تصبح طريقة القول جزءا جوهريا وعنصرا مكّوناً للقول ذاته وتصبح دلالة الشعر الكاملة معادلة فحسب للقصيدة ذاتها))[٢٢]، وهنا نجد أن قصيدة (الحسين) تكشف عن نفسها بوصفها نصا مفارقا على مستوى التعبير لا الفكرة، ففكرة استحضار (الحسين "ع") فكرة قديمة ومتواصلة، ولكن العبرة في طريقة التعبير عنها، وهو ما يدعونا للوقوف على أساس بنائها وهي الجمل اللغوية التي شكلت نسيج القصيدة، وبهذا ستتم دراسة هذه الجمل حسب التقسيم المتفق عليه قديماً وحديثاً، وهو (الجملة الإسمية) وسنتكلم عنها بدلالة الثبات، و(الجملة الفعلية) وسنتناولها بدلالة التجدد.

الجملة الاسمية ودلالة الثبات:

تتميز الجملة الاسمية بثباتها الزمني الذي يتعاضد مع ما توحيه من معانٍ غير قابلة للتغير؛ لأنها وبالأساس لا تعتمد على تصريفات الزمن وأفعاله في بنائها بما يتيح لها فرصة التحرر من الزمن، وكذلك فإن ما تدلل عليه يكون قارا بنفسه، وفي هذا المجال فإننا نجد أن قصيدة (الحسين) قد احتشدت فيها الجمل الإسمية على حساب الفعلية منها، وذلك من وجهة نظرنا يعود إلى أنها تعاملت مع مثال ثابت حاولت استحضاره ألا وهو شخصية (الحسين بن

علي) "ع" ليس متغيرا بحسب الأزمان، ومن جانب آخر فإن هذه الشخصية التي تتحدث القصيدة عنها مطلقة لا يحدها زمن ولا جانب معين، ومن وجهة نظر ثانية نجد أن الشاعر قد خلق ما يشبه المعادلة بين (الحسين _ الواقع)، وكيف حاول أن يرفع شكواه لشخصيته المخاطَبة بما يطرأ على هذا الواقع من تغيرات هائلة بينما الحسين ثابت في مكانه ومكانته معا.

لذلك ومن البداية يحاول الشاعر أن يدلل على هذه المعادل، ليبتدئ قصيدته وبأوله بيت له، إذ يقول:

أسماؤنا الصحراء واسمكَ أخضرُ

أرني جراحكَ كلّ جرحٍ بيدرُ(٢٣)

فجملة (أسماؤنا لصحراء واسمك أخضرُ) قد أطلقت العنان لما يأتي في بعهدها بهذه القصيدة، وهو ما أشرنا له في كلامنا السابق حول المعادلة التي أراد الشاعر تقديمها، فبقدر ما تكون (أسماؤنا) عرضة للجدب والقحط والتغيرات الهائلة على مستوى التاريخ والواقع، كما هي (الصحراء) بطبيعة الحال، فإن (اسمكَ) وهو يشير إلى المخاطَب وهو (الحسين "ع") يحمل معنى الازدهار والاخضرار، وفي هذا إشارة دلالية مهمة تتعلق بمحمولات هذا الاسم على مر التاريخ، فهو ثابت لا يتغير كما هو الحال مع غيره، فالجملة الإسمية السابقة تضعنا بإزاء حوارية بين (الأنا المتحدثة بصيغة الجمع "أسماؤنا" في مقابل الأخر المتحدث عنه بصيغة الإفراد "اسمكَ") وهذه الحوارية خلقت معادلة بحسب ما يوافق إليه الأنا الجمعية من (الصحراء)، وما يرافق الآخر المخاطب (الأخضر)، وهذا ثابت لا يتغير كما أشار الشاعر إليه.

ولكي يقدم الشاعر صورة عن المتحدَث عنه فإنه يلجأ إلى اختزال وتكثيف دلالي على مستوى اللغة، مستفيدا من قدرته الكبيرة على تطويع مفردات اللغة وجملها في بناء شعري مميز، إذ يشير إلى هذا الأمر قائلا:

إيه أبا الشهداء وابن شهيدهِمْ

وأخا الشهيد كأن يومكَ أعصرُ[٢٤]

تتابع الأسماء في هذا البيت الشعري كي تقدم مع ما يضاف إليها صورة متكاملة عن (الحسين الشهيد)، فتعدد الجمل الإسمية بتعدد الأسماء (أب، إبن، أخ) ساهم في تواصل الزخم الشعري، كأن الشاعر مهمومٌ بإيصال فكرته، ساعده في ذلك استعماله لهذه الجمل الإسمية بتعدد دلالاتها ومعانيها، فحالة الإعجاب التي افتتح بها الشاعر قوله عن طريق استعمال اسم الفعل (إيه) كان لها ما يبررها بالنتيجة لهذه الشخصية وما تحظى به من عائلة مشرِّفة، زد على ذلك فإن تكرار لفظ (الشهادة) بتعدد تصريفاته اللغوية (الشهداء، شهيدهم، الشهيد) قد أضفى زخما قدسيا على صفات المخاطَب، الذي يرتبط بمبدأ (الشهادة) ارتباطا وثيقا من طريق الأبوّة لها، والأخوّة، فهو وريثها الحقيقي.

ليختم الشاعر قوله في هذا البيت بجملة (كأن يومك أعصرُ)، فيبلغ منتهى غاية قوله عن هذه الشخصية، حتى كأن يوم (استشهاده) الذي يفهم من سياق حديث الشاعر السابق عن الشهادة وارتباط (الحسين) بها، هذا اليوم كان معادلا لأزمنة كثيرة نتيجة ما حصل فيه من رزء كبير وانتهاك لقدسية ذلك الرجُل، كل تلك المعاني أسهم فيها الاستغلال الموفق للجملة الإسمية من قبل الشاعر حتى تعددت مقاصدها ودلالاتها بالشكل الذي ظهرت فيه بالنهاية.

تواصل الجملة الإسمية حضورها في قصيدة (الحسين)، لتتجاور ألفاظها وتتفاعل مع بعضها منتجة دلالات شعرية ومعنوية متكاملة، ففي موضع آخر من هذه القصيدة يورد الشاعر هذه الجمل، قائلا:

بدنٌ من الذكر الحكيم أديمَهُ

درعٌ على الدين القويم ومَعْفَرُ[٢٥]

في صدر هذا البيت يشير الشاعر إلى مكانة المخاطَب، ويتخيّر لها زمانا معينا، وهو يستذكر لحظات مصرعه، ليستعير بالذكر الحكيم للبقعة التي سقط عليه شهيدا، وبهذا أخرج هذه

الأرض من أديمها الترابي المتعارف محولا إياها إلى قطعة من الجنان التي تنعم برعاية (الله سبحانه)، هذا المعنى عضده سياق الجملة بتجاور ألفاظها مع تقديم وتأخير تطلبته الضرورة الشعرية التي أوجبتها تفعيلات الوزن الشعري للقصيدة، ومع إضافة محذوف تقديره (هذا)، فلو أعدنا قراءة هذه الجملة الإسمية لكانت على النحو الاتي (هذا بدنٌ أديمه من الذكر الحكيم)، ولكن الشاعر تصرف بملكته النافذة ليعطي دلالة شعرية مكثفة وموجزة عن المعاني التي خرجت إليها هذه الجملة الإسمية.

أما في العجز فنجد جملة (درعٌ على الدين القويم ومعْفَرُ)، وبقد ما أدت الجملة السابقة دورها في تقديم معنى يدلل على كرامة جسد (الحسين) وهو يتوسد بقعة مقدسة، فقد كان هذا الجسد درعاً ومعفراً صلباً دفاعاً عن الدين وتطبيق تعاليم السماء، هنا أدى الوصف وظيفة احتفائية دللت على إعجاب منقطع النظير بما قدمه (الحسين) من تضحيات فذة، هنا تفجرت اللغة لتنتج متتاليات استعارية مفارقة دللت على تكامل الفكرة ونضوجها في ذهن الشاعر، وهو يطوّع إمكاناته لتصوير فني باستخدام ممكنات اللغة العالية التي يتحدث بها، ففي هذا البيت الشعري حاول الشاعر عن طريق استعمال دلالة الثبات في الجملة الإسمية من تكوين وحدة فنية متكاملة عن لحظة محددة، وهي لحظة استقبال الأرض لجسد (الحسين).

يستمر الشاعر في استحضار هذه اللحظة خالقاً منها مشهداً ملحمياً يتجاوز راهن وقوعها إلى ما بعد واقعها بعملية تخييل، يبنيها الشاعر بما تسعفه به اللغة من تدفق متناسق للجمل الاسمية التي تثبت تلك اللحظة بزمنها المحدد وموضوعتها المتحدَث عنها، إذ يكمل الشاعر قائلا:

الأنبياءُ المرسلون إزاءَه

والروحُ والملأ الملائِك حضَّرُ(٢٦)

هنا يستقبل جسد (الحسين) من قبل (الأنبياء، المرسلون، روح القدس، البشر جميعهم، الملائكة بأكملهم)، كلهم حضروا لمشهده، تتابع وتجانس لغوي أعطى بعدا دلاليا ورمزيا هائلا لما تحظى به هذه الشخصية من تقديس واحترام ومحبة، وما يتركه مصرعه في نفوس هذه

الخلائق مجتمعة من دهشة وحزن حتى تغادر أماكنها وتتجمع عنده، صورة فنية غاية بالإدهاش قدمتها هذه الجملة الشعرية، وما خدم الشاعر في ذلك أن هذا المشهد كان مطلقا لم يتداخل معه أي قطع لغوي، بل إن الألفاظ انساقت كلها بانسيابية لتوصل مراد الشاعر ومشهدية الموقف بأكمل صورة.

بعد موجة التخييل والتحليق التي طاف بها الشاعر في سماوات اللغة كي يمكّن قصيدته من أن تكون على مستوى اللحظة الملحمية لرثاء (الحسين)، وبما استعان به من جمل اسمية كانت قادرة على توصيل فكرته، وفي لحظة معينة يرجع إلى واقعه مستدركا كلامه بأن كل الشعر يقف عاجزا عن تصوير مقتله (ع)، إذ يقول:

كل القصائد فيك أم ثاكل

في حجرها طفل النبوة ينحر(٢٧)

ولعلّ جملة (كل القصائد فيك أم ثاكل) وبما تحمله من تقديم وتأخير واستعارة لافته تدلل على عظيم الفقد وحرقة الرزء، استطاعت هذه الجملة الإسمية أن توصل اعترافاً مبطناً من قبل الشاعر بأن لا ذكر للحسين في أي محفل إلا ودخلته الدموع والحسرات، وهذا ما يدلل عليه قوله: (كل القصائد) فقد جمع الشعر وما حوى لهذه المصيبة الهائلة.

بعد ذلك يردف الشاعر مباشرة موقف قصيدته من قضية (الحسين)، إذ يشير إليها قائلا:

عريانة حتى الفؤاد قصيدتي

والشعر بين يدي أشعث أغبر(٢٨)

هنا تتكامل الجمل مع بعضها لتنتج دلالة واحدة تعبّر عن الحزن الدفين الذي يعتري الشاعر لحظة قوله، ومن جانب آخر فإننا نجد أن الجمل الاسمية المتلاحقة كانت مطاوعة للشاعر بخلق صور شعرية غنية بجمالها الفني، فحينما يقول: (عريانة حتى الفؤاد قصيدتي) فكأنما يجسد القصيدة ويشخصها، ناقلا إياها من ملفوظ لغوي باثّا فيها الحياة لتتجسد مخلوقا

مصاباً بالفقد والحسرة،وهذا الأمر فيه إشارات بلاغية ومعرفية كبيرة، كما حدث في جملة الوصف الاسمية عن الشعر حينما يقول: (والشعر بين يدي أشعث مغبرُ).

الجملة الفعلية ودلالة التجدد:

تتعرض الجملة الفعلية لكثير من التغيرات الدلالية وذلك بحسب ما تقتضيه لحظة وقوع الحدث فيها، فهذا النوع من الجمل تكون أحداثه متعاضدة وبقوة مع زمان حدوثها، لأن الأساس الذي تعتمد عليه هو (الفعل) بكل تصريفاته اللغوية، واختلافاته الزمنية، لذلك نلمح تغيرا كبيرا بينها وبين الجملة الإسمية التي توحي بكثير من الثبات والاستقرار كونها تتعامل مع الأسماء فقط في بنائها.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى جانب مهم ونحن نستعرض جانباً من الجمل الفعلية في قصيدة (الحسين) التي هي عينة بحثنا، هذه الإشارة تتعلق بمدى ارتباط كل جملة فعلية بما قبلها وما بعدها على سبيل الدلالة، وهذا الأمر راجع إلى كوننا نتعامل مع قصيدة تحمل مضمونا واحدا وتتميز بوحدة موضوع من بدايتها حتى الختام، ومن جانب آخر فإن بناء القصيدة العمودي لا يتيح في أحيان عديدة أن يسترسل الشاعر في خطابه اللغوي بسبب تفعيلات الوزن الشعري التي يبني عليها قصيدته.

ونحن نستعرض هذه القصيدة نجد الشاعر يخاطب (الحسين) قائلا:

يا ظمأ الأنهار قبلك لم تكن

تروي ظما الدنيا وتظمأ أنهر[٢٩]

يعطي الشاعر صورة بلاغية مميزة عن علاقة الأنهار بوصفها ملاذاً من (العطش)، ويربطها بـ(الحسين)، فإنه يقلب الموازين فيلصق العطش بالماء ويبعده عن الحسين، وهو لا يشير إلى الظمأ الحقيقي، بل إلى ظمأ الكرامة والفداء، أسهمت جملة (تروي ظما الدنيا وتظمأ أنهر) في إثبات هذا المعنى وعلى استمراره وتجدده، ففعل (تروي) فعل مضارع يحمل دلالة الإستمرارية التي توحي للمتلقي بعدم الانقطاع أو التوقف عند مدة زمنية معينة، وهو ما أراد

الشاعر إيصاله عن مدى تأثير (الحسين) في الموجودات كافة، إذ أنه نهر متدفق من العطاء والدروس الذي يحيي الحياة بجريانه، وبقدر ما يتمتع به هذا النهر من تدفق لا يتوقف، فقد (تظمأ أنهر)؛ لأنها لم تمتلك البعد التأثيري الذي امتلكه الحسين، فقد تجف وتختفي ولكن نهر (الحسين) يبقى متواصلا غير منقطع.

الصورة السابقة التي قدمها الشاعر عن (الحسين) كانت مورقة، مليئة بالحياة، بفعل الشبه بينه وبين النهر الذي يملأ الحياة حياة ويعطي لوجودها ديمومة واستمرارية، أما صور أعدائه والمطالبين بقتله، فهي كما يقول الشاعر:

طلاب موتك يا ابن بنت محمد

خرجوا من الصحراء ثم تصحّروا[٣٠]

هنا يقدّم الشاعر صورة أولئك الذين قاتلوا (الحسين) بهيئة تشبه قساوة الصحراء وشظفها وجدبها، حتى استقوا صفاتهم منها بقوله (تصحّروا)، ولعلّنا نقف مع الشاعر عند استخدامه صيغة الماضي لهذه الجملة التي ابتدأها بفعل (خرجوا) ليشير إلى انقطاعهم لتلك المدة الزمنية، واختفاء أثرهم بعدها، ولو عدنا إلى البيت السابق سنجد أنه استخدم فيها الفعل المضارع (تروي) بكل ما يدلل عليه من استمرارية، وفي هذا أيضا نجد أن قدرة رسم الصورة والصورة المغايرة عند الشاعر كبيرة جدا، أسهمت هذه الجمل الفعلية في تقديم ما يحمله (الحسين) من مكانة وتأثير وما كان عليه (أعداؤه) من دناءة وشر، حتى نزعت عنهم كل الصفات الإنسانية أبدا.

يواصل الشاعر حديثه عن الجهة المقابلة (أعداء الحسين)، فبعد أن فقدوا كل صفاتهم الإنسانية ومشاعرهم، ها هو يقدمهم بصورة من فقد بصره وبصيرته حتى لكأنهم عمي عن رؤية الحق، إذ ينطق الشاعر قائلا:

وكأن برقا ما أضاء ظلامهم

فمشوا تجاه النور ثم استدبروا[٣١]

فالجملة الفعلية (مشوا تجاه النور ثم استدبروا) كانت نتيجة ظلالهم عن النور، وعدم رؤيتهم للحق، حتى أصابهم الضياع بأن يسيروا تجاه (الحسين) لا ليروه إنما لقتاله، وهو ما دلل عليه استدراك الشاعر بقوله (ثم استدبروا)، هؤلاء الذين سلبت منهم الرحمة، جرّدوا كذلك من بصرهم وبصيرتهم، وهو معنى دلالي غاية بالتنكيل ساقه الشاعر كي يؤكد موقف هؤلاء من قتالهم للحسين.

يواصل الشاعر النيل من قاتلي (الحسين) بأن يسلبهم كل حواسهم الجسدية والروحية، فبعد أن فقدوا بصيرتهم، ها هم يفقدوا كذلك حاسة شمهم وتحسسهم للحسين، إذ يذكر قائلا:

أولم يشموا فيك طيب محمد

كذبوا فطيب محمد لا ينكر[٣٢]

فالسؤال الاستنكاري الذي ساقه الشاعر في صدر البيت عن جهل هؤلاء بعلاقة (الحسين "ع") بجده وهو نبيهم (محمد "ص") وصلة القرابة معه، أردفه بجواب قاطع لا ينكر، فساق له جملة فعلية ماضوية دللت على كذبهم وافترائهم، بقوله: (كذبوا فطيب محمد لا ينكر)، لتكون صفة (الكذب) مواجهة لحاسة شمهم جميعا، وهنا لا بد من القول أن إصرار الشاعر على استخدامه لهذه الألفاظ لها ما يبررها؛ لأنه وضع (قاتلي الحسين "ع") بما يشبه قاعة المحاكمة، حتى يفند كل مبرراتهم بقتله، من جهل بشخصه ومكانته، وحتى يقول لهم: أن كل ما تبنوا عليه حججكم إنما هو واهن لا يرتقي لما أقدمتم عليه من جريمة شنعاء بحق (الحسين "ع").

الخاتمة

توصل البحث الى مجموعة من النتائج أهمها:

١. تكتسب الجملة موقعاً في تحليل مستويات الخطاب اللغوي والادبي لأنها العنصر المهم الذي يتكامل معه العناصر اللغوية الاخرى .
٢. الجملة تكون محور الخطاب التخيلي فهي عالم يحوي محور الشعر ودلالته.
٣. تشكل الجملة نسيج القصيدة وبناءها اللغوي التام.
٤. لجأ الشاعر الى البناء اللغوي عن طريق الجملة؛ لغرض التكثيف اللغوي والاختزال المعنوي.
٥. غلبت على القصيدة هيمنة الجملة الاسمية التي تتسم بثباتها والتي تنسجم مع القضية الحسينية الثابتة التي لا يعتريها تفسير.
٦. حشد الشاعر القصيدة من خلال الملفوظ اللغوي المملؤ بالحياة والحركة.
٧. يستعمل الشاعر الاساليب الاستنكارية وتارة الاستفهامية ساخراً من اعداء الحسين وهذه الاساليب احتاجتها الجملة كثيراً .

المصادر والمراجع:

- الأدب والدلالة، تزفيتان تودوروف، ترجمة: د.محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦م.
- الإسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط٢، ١٩٩٤م.
- الأعمال الشعرية الكاملة (قمر جنوبي)، المجلد الثاني، أحمد بخيت، دار الكليم، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.
- إنتاج الدلالة الأدبية، د.صلاح فضل، مؤسسة المختار، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م.
- بناء الجملة العربية: محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ط٢٠٠٣م.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط٢، ٢٠٠٧م.
- الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣ ، ٢٠٠٨م .
- الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
- علم الدلالة: دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م .
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث : محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة، ٢٠٠٣.
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٧، بيروت، ١٤٠١-١٩٨١م.
- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب سيبويه، ت: عبد السلام هارون، دار التاريخ، بيروت، د.ط، د.ت.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، لبنان ، ١٩٩١م.
- المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، (د.ت).
- المفصل في علم الإعراب: أبي القاسم محمود بن عمر، دار الجيل، بيروت، ط٢.
- المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت: محمد عبد الخالق، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، ت: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، د.ط، ١٩٨٢م.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث : محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة.

الهوامش

---

(١) ينظر: الكتاب: ١/ ٤٧.

(٢) الخصائص: ١/٧٢.

(٣) المفصل في علم العربية: ٦

(٤) ينظر: المقتضب : ١/ ٨.

(٥) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٥.

(٦) ينظر: العلامة الإعرابية: ٢١.

(٧) ينظر:المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني: ١/٢٧٧.

(٨) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/٣٨٢-٣٨٤.

(٩) المصدر نفسه :٢/٤٣٣.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٣٣-٤٣٤.

(١١) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٥٧_ ١٨١.

(١٢) ينظر: الخلاصة النحوية: ٢٣، ٢٧.

(١٣) المصدر نفسه:٣٣.

(١٤) الأدب والدلالة، تزفيتان تودوروف، ترجمة: د. محمد نديم خشفة، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦م: ١٣.

(١٥) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار: ٢٢، وعلم الدلالة دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن: ١٥.

(١٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة: (د/ ل/ ل): ١٧١.

(١٧) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ١١.

(١٨) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك: ٢٦٨.

(١٩) إنتاج الدلالة الأدبية، د.صلاح فضل، مؤسسة المختار، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م: ١١.

(٢٠) ينظر: الإسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي: ٣٧

(٢١) الإسلوبية، بيير جيرو: ٥١.

(٢٢) إنتاج الدلالة الأدبية، د. صلاح فضل: ٣٤.

[٢٣] الأعمال الشعرية الكاملة (قمر جنوبي)، المجلد الثاني، أحمد بخيت، دار الكليم، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م: ٤٦٩.

[٢٤] الأعمال الشعرية الكاملة (قمر جنوبي)، المجلد الثاني، أحمد بخيت: ٤٦٩.

[٢٥] الأعمال الشعرية: ٤٧٠.

[٢٦] الأعمال الشعرية: ٤٧٠.

[٢٧] الأعمال الكاملة: ٤٧٢.

[٢٨] الأعمال الكاملة: ٤٧٢.

[٢٩] الأعمال الكاملة: ٤٧٠.

[٣٠] المصدر نفسه: ٤٧١.

[٣١] الأعمال الشعرية: ٤٧٢.

[٣٢] صفحة: ٤٧٢.